١٠- جهالة

قالت العرب في أمثالها: ويلٌ للشجيّ من الخليّ.

ويلوم بعض الناقدين وزارة المعارف من أنها لم تفعل كذا، وأنها لو عملت كذا لكان أفضل ولو فعلت كذا لكان أجمل، وهكذا...

ويتبارى الناس في مجالسهم الخاصة في النقد واللوم، وإصدار الأحكام القطعية في كثير من الأمور العامة التي يجهلونها، وهذا في نظري خطأ وجهل.

obeikandi.com

وإني أتذكر أنه في ذات مرة حضرتُ مناسبة احتفالية ضمت جمعاً من المثقفين وثلة من المسؤولين، وعلى هامش اللقاء كانت هناك جلسات إخوانية يتشعب القول فيها ويتنوع ويطول السمر فيها، ويمتد السهر، ويتداخل الحوار، ويمتزج النقاشُ أحياناً بالجدل، وأحياناً بالواقعية.

وفي أثناء ذلك اللقاء انبرى أحد الحضور وصار يلوم وزارة المعارف وينتقدها، ويكاد يصفها ورجالَها بالفشل والجهالة، وبالغباء والبلادة.

وتصبّرت وتجلّدت، وتذكرت ما دار في مجلس الشريف المرتضي حين دخل عليه ذات يوم أبو العلاء المعري، وكان الشريف يعيبُ وينتقد الشاعرَ المتنبي، فرد عليه أبو العلاء وقال: لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته:

لكِ يا منازلُ في القلوب منازلٌ

أقفرت أنتِ وهُنَّ مِنك أواهلُ

لكفاه ذلك شرفاً ومجدا.

وعند ذلك ثار الشريف وصاح، وصار يصرخ بأعلى صوته ويقول: أخرجوا هذا

الكلبَ من مجلسنا.

وقال أبو العلاء: الكلبُ هو الذي لا يعرف أن للكلب سبعين اسماً، وغادر ذلك المجلس الساخط الجاهل.

وقال سائلٌ للشريف: لماذا صرخت؟ ولماذا غضبت؟

قال الشريف: إن أبا العلاء قد سبَّني.

قال السائلُ: وكيف؟

قال الشريف: إن أبا العلاء لا يقصد قصيدة المتنبي تلك، ولكنه يريدُ بيت الشعر الذي جاء

في تلك القصيدة وهو:

وإذا أتتك مـذمَّـتي من ناقصٍ

فـهي الشهـادةُ لي بأني كـامل.

وقـد تذكـرت هذه القـصـة حين تكلم ذلك الرجل؛ فإني أعرفُ نقصَهُ وجهلَه، وأعلم غباءه وخلله؛ فهـو يحاول بالنقد واللوم إخفـاء عيوبه وإبراز قدراته وكفاءته، وإظهـار براعته وإبداعه ورددت في نفسي قول الشاعر الآخر:

إذا نطق السـفـيـه فـلا تُجـبـه

فـخـيـرٌ من إجـابتِـهِ السكوتُ

ولكن للأسف الشديد حرك المذكور ذلك السكون، فتجاوب معه بعض الحضور، ولهذا لزم تدخُلي، ووجب حديثي، وبينتُ أن التنظير شيءٌ والواقع شيءٌ آخر، ولكي أوضح الصورة وأكون واقعياً في قولي عرضت لهم همّا من هموم وزارة المعارف وما أكثر همومها! وأعظم طموحها! ولكن أنى لها ذلك!

إنها المباني المدرسية بأراضيها، وصيانتها وبنائها، وتجهيزاتها، إنها تُعد حملاً ثقيلاً، كيف والأعداد تتزايد، والنمو يتتابع، ومهما نفذت الوزارة من مبانٍ فإنها تحتاج في كل عام للمئات من المباني المدرسية.

وإني أتذكر بعض الأرقام الإحصائية التي توضح الأمر، وسأوردها كل عشر سنوات ليتبين حجم النمو.

إن الجدول التالي يُبين للقارئ المنصف المعاناة التي يعيشها المسؤولون في وزارة المعارف.

جدول إحصائي

العام	عدد المدارس	عدد المدرسين	عدد الطلاب
١٣٦٩	١٤٦	٦٤٣	١٦,٠٢٩
١٣٧٩	٦٣٣	٤٣٣٦	١٠٢,٠٢٣
١٣٨٩	١٦٧٠	١٥٢٧٤	٣٢٠,٠٣٤
١٣٩٩	٤٨٠٣	٤١٣٣١	٧١٥,٦٣٥
١٤٠٩	٦٩٩٠	٨١٠٤٣	١,٢٤٤,٠١٤
١٤١٩	١٠,٠٧٤	١٣٨،٢٤٨	١،٨٧٧،٤٧٤

وقلت لذلك المتحدث وللإخوة الحضور: إن هذا الجدول يُجسِّدُ الإقبالَ على التعليم، ويُصور النمو المتزايد في الطلاب، ولو أن وزارة المعارف أوجدت المباني لجميع الطلاب حتى عام ١٤٠٩هـ، فكيف تعمل بالقادمين بعد ذلك التاريخ؟ خاصة وأن الظروف الاقتصادية اشتدت بعد ذلك التاريخ (تراجع أسعار النفط + حرب الخليج + تنامي بنود الرواتب+ تزايد عدد الطلاب + ...)؟.

وكانت ميزانية وزارة المعارف على النحو التالي:

العام	الاعتماد بملايين الريالات
١٣٧٩	١١٥,٠٠٠
١٣٨٩	٣٨٤,٠٠٠
١٣٩٩	٧,٦٢٩,٠٠٠
١٤٠٩	١٠,١٣٥,٠٠٠
١٤١٩	١٨,٣٢٩,٠٠٠

وذكرتُ أنه مع ذلك الضغط المالي فإن المشاريع كانت قائمة، وأن المباني كانت تنفذ ولكن بأعداد لاتفي بالنمو المتزايد، وكان أمام المسؤولين في وزارة المعارف خيارات أربعة.

أولاً: أن لا تقبل الوزارة من الطلاب إلا بحجم المقاعد المتوافرة لديها وهذا أمر غير مقبول.

obeikandl.com

ثانياً: أن تجعل الطلاب يدرسون على فترات صباحية ومسائية كبعض الدول الفقيرة وهذا أمر غير مناسب لا اجتماعياً ولا تربوياً.

ثالثاً: أن تقوم الوزارة بضغط الفصول وزيادة الأعداد وهذا إجراء غير تربوي وليس بعملي.

رابعاً: أن تستأجر المباني من المواطنين ريثما تتوافر المباني الحكومية وهذا أخف الأضرار وبالفعل فإن الوزارة تستأجر أفضل المباني حسب كل حي.

ومع ذلك كله فإن وزارة المعارف واحدة من

obeikandl.com

أجهزة الدولة المختلفة، ورجالها يعملون وفق ما لديهم من اعتمادات مالية متوافرة.

ومع أنني تركت العمل الرسمي إلا أنني أعرف أن الإخوة الذين هم في موقع المسؤولية يبذلون جُهوداً متميزة، ويتحلون بأخلاق فاضلة، ويسعدون كل السعادة إذا اكتملت توقيعات محاضر الترسية للمشاريع، أو وصلتهم تقارير الاستلام الابتدائى للمباني المدرسية.

وكم جاؤوا إلى مكتبي، والابتسامة تعلو وجوههم! وهم يقولون هذه مشاريع استلمت وهذه محاضر رسيت، وهذه مدارس نرغب طرحها ونود اعتماد بياناتها!!.

وإني أتذكر أن وزارة المعارف في عام ١٤٠٥هـ كانت تستلم بمعدل كل يوم مدرسة جديدة جرى بناؤها.

إنهم في دوامة لا تنتهي، وحلقة لا يعرفون لها طرفاً، ولا يعلمون لها بداية. كيف والوزارة تفتح في كل عام أكثر من مائة مدرسة، فكيف يلاحقون هذا الكم المتزايد؟

كان الله في عونهم، وأعانهم على رسالتهم وهنيئاً للوطن بجهودهم.

هذا وحاولتُ في تلك الأمسية التعرض للمناهج، وإيضاح الجهود التي تبذلها الوزارة

obeikandl.com

ولكن أرجأنا الأمر لليلة أخـرى، وبالفعل صار وهذا ما سوف أتناوله في مـوضوع قادم إن شاء الله.

obeikandl.com